مجلة الرائد

العدد : ٢٠١ الموافق في ربيع الثاني ١٤١٩ هجري ١٩٩٨/٨ ميلادي

| عنوان المقال : سنة الابتلاء – ٢ – | الكاتب : د. موفق الحكيم |
|---|---|

ب- **الصدام مع الجاهلية وأعوانها** : ولا بد من الابتلاء بسبب الصدام مع الجاهلية وأعوانها ، لأن الحق واحد لا يتعدد في كل زمان ومكان ، ولأن الباطل مهما اختلفت أشكاله وتعددت صوره وتنوعت مشاربه لا يمكن أن يهادن الحق ، ولا أن يتحمل وجوده في أي زمان أو مكان ، لأن الدعوة الحقيقية التي تصدر عن نبع الإسلام ، وتعبر عن موقفه وتتبع منهجه وأحكامه ، وتتحكم في الدنيا وما فيها من أموال وأنفس وأنظمة ، لاتروق لقوى الشر التي لا تستريح لهذا المنهج الخير العادل ولا ترتاح إليه ، ومهما هادن الباطل الحق وسكت عنه ، فإنه لا بد أن يقع الصدام لأنه لا يمكن أن يجتمعا معاً على صعيد واحد ، ولا بد أن يتنازل أحدهما للآخر ، ولقد عبّر عن هذا الموقف ، وبين ما هي قوى الشر التي تواجه دعوة الحق ولا ترضخ لحكمها ودعاتها ، الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله الذي أوضح في رسالته " بين الأمس واليوم " ، وأنقل هذه الرسالة موجزة من كتاب "واقعنا المعاصر" للأستاذ محمد قطب حفظه الله [ص:٤٠٧-٤٠٨] : يقول الإمام الشهيد رحمه الله : « أحب أن أصارحكم أن دعوتكم لا زالت مجهولة عند كثير من الناس ، ويوم يعرفونها ويدركون مراميها ، ستلقى منهم خصومة شديدة وعداوة قاسية ، وستجدون أمامكم كثيراً من المشقات ، وسيعترضكم كثير من العقبات ، **وفي هذا الوقت وحده تكونون قد بدأتم تسلكون سبيل أصحاب الدعوات** ، أما الآن فلا زلتم مجهولين ، ولا زلتم تمهدون للدعوة ، وتستعدون لما تتطلبه من كفاح وجهاد » . ويتابع رحمه الله : « سيقف جهل الشعب بحقيقة الإسلام عقبة في طريقكم ، وستجدون من أهل التدين ومن العلماء الرسميين من يستغرب فهمكم للإسلام وينكر عليكم جهادكم في سبيله ، وسيحقد عليكم الرؤساء والزعماء ، وذو الجاه والسلطان ، وستقف في وجوهكم كل الحكومات على السواء ، وستحاول كل حكومة أن تحدّ من نشاطكم وأن تضع العراقيل في طريقكم » . ويتابع رحمه الله : « وسيتذرع الغاصبون بكل طريق لمناهضتكم وإطفاء نور دعوتكم ، وسيستعينون بالحكومات الضعيفة والأخلاق الضعيفة والأيدي الممتدة إليهم بالسؤال ، وإليكم بالإساءة والعدوان ، وسيثير الجميع حول دعوتكم غبار الشبهات وظلم الاتهامات ، وسيحاولون أن يلصقوا بها كل نقيصة ، وأن يظهروها للناس في أبشع صورة ، معتمدين على قوتهم وسلطانهم ، معتدّين بأموالهم ونفوذهم : { **يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون** } [التوبة:٣٢] » . إن هذه الرسالة الموجزة بكلامها ، العظيمة بأفكارها ، تبين الطريق للدعاة ، وتظهر لهم

أن قوى الشر مهما اختلفت فيما بينها فإنها يد واحدة ترمي عن قوس واحدة أمام عدوهم الرئيسي وهم دعاة الحق . إن من أهم العقبات والصعوبات التي تواجه الدعاة كما ذكرنا هي :

١- **جهل الشعب بحقيقة الإسلام** : إن أكبر المعارضين لدعاة الحق والمهاجمين له « العوام » وعامة الشعب الذين يتألبون عليه ، لأنهم تعودوا على نظام معين ألفوه وألف إليهم ، ورضوا به ورضي بهم ، ولا يرضى لهم الكسل العقلي ولا " الروتين " اليومي أن يقبلوا بالجديد وإن كان مفيداً ، فتراهم إذا ما استثيروا ضد دعاة الحق ثاروا ، وإذا ما حُرضوا تحرضوا وحرضوا ، وكانوا رأس حربة في يد عبيد الهوى وأصحاب المصالح والشهوات والمراكز . يقول الأستاذ أحمد أمين في " فيض الخاطر [ج٣ ص ١٤٢] " : « والتاريخ يجري على نمط واحد منذ تكونت الجمعية البشرية إلى اليوم ، يلمع فيها أفراد قلائل في كل عصر ، يخرجون على إلف الناس وما اعتادوه في أفكارهم وعقائدهم وعواطفهم ، فيتألب عليهم الناس لكسلهم العقلي ، ولأن الدعوة الجديدة تقلق راحتهم ، وتدعوهم إلى قلب نظامهم العقلي والعاطفي كالذي يدعو كسلاناً أن يغير نظام بيئته أو نظام معيشته ، وبدلاً من أن يوجه غضبه إلى نفسه لكسلها أو جمودها يحوّل غضبه على من سبب له هذا القلق ، ثم لا يقتصر على محاربته بالأساليب الشريفة ، بل يحاربه بكل سلاح ، ولا يتورع عن أن يختلق عليه ويتهمه بما يستطيع من تهم ، ويرى أن كل وسيلة تفضي إلى قتل هذه الفكرة الجديدة جائزة ومشروعة ، فإذا وصل إلى هذا الغرض بإعدام الفكرة أو إعدام قائلها اطمأن واستراح لأنها تتفق مع طبيعته في الكسل واستنامته إلى ما ألف » .

والأدهى من ذلك والأمر أنه إذا كان جُلّ الشعب ، وبدعم من السلطان وأصحاب الهوى يُحقون الباطل ويبطلون الحق ، ويأتمرون بالمنكر ويتناهون عن المعروف ، فإن دعاة الحق في هذا المجتمع غرباء عليه وسيواجهون أشد أنواع العسف والظلم والاستبداد ، ألم تر إلى جواب قوم لوط وهو ينهاهم عن الفساد والرذيلة ، ويأمرهم باتباع الحق والصواب ، ماذا أجابوه ؟! : { **ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون ۞ أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون ۞ فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون** } [النمل:٥٤-٥٦] . فهم على درجة كبيرة من انحراف الفطرة وشذوذ الغريزة بحيث لا يستشعرون أو يدركون ما في انحرافهم

من قذارة وما يبعث عليه من اشمئزاز ، والأنكى من هذا أنهم يحاربون الطهارة والتطهر إذا كانت الطهارة تدعوهم وتأمرهم بالإقلاع عن ذلك الشذوذ والابتعاد عن هذا الانحراف ، وما نراه في هذه الأيام وللأسف وفي بعض المجتمعات ليس بعيداً عن هذا الواقع المزري وهذه الحقيقة المؤلمة !!.

إن الباطل يحاول بشتى الوسائل ومختلف الأساليب استمالة الحق واحتواءه والسيطرة عليه ، تارة بالترغيب ، وتارة بالترهيب ، فإن لم ينجح لجأ إلى كل الوسائل الدنيئة والأساليب الباطلة من أجل التخلص منه والقضاء عليه ، لأن الفضيلة والرذيلة لا يجتمعان ، ولأن الضّعة والرفعة لا يلتقيان . يقول الأستاذ أحمد أمين في " فيض الخاطر [ج١ ص١٩٨] " : « ألست ترى أن جمعية الشراب تكره كل الكراهية أن يكون بينهم وقت شرابهم من لا يشرب ، ويستثقلونه مهما ظرف ، ويستسمجونه مهما لطف ، لأنه يذكرهم بالفضيلة حين ارتكابهم الرذيلة ، ويشعرهم بأنهم الوضعاء وهو الرفيع ، وأنه العين الناقدة ، وأنه الرقيب عليهم ، وأنه العادّ لسقطاتهم ، وأنه المحتفظ بقوته وإدراكه عند ضعف إرادتهم ، كل هذا يشعرهم بالضعة فيكرهونه ويبدؤون بالإلحاح عليه أن يشرب لا حباً فيه ولكن حباً لأنفسهم ، وإبعاداً لشعورهم بضعتهم ، ولا يزالون يستحلفونه حتى إذا نجحوا أمنوا الشعور بالضعة ، وإذا فشلوا مقتوه ، ومقتوا جلوسه بينهم ، لأنه نغّص عليهم بهجتهم ، ومن أجل هذا أيضاً أحبوا أن يسمعوا أدب الخمر ، وأحبوا أن يسمعوا من يفلسف لهم الحياة ، وأنها ليست إلا متعة الساعة وشهوة الوقت ، فإذا تجاوز المحدّث ذلك إلى أنه لا يعبأ بحرام ولا حلال وأنه يقول كما قال أبو نواس:

**فإن قالوا حرامٌ قل حرامٌ  فإن لذاذة العيش الحرام**

فذلك عندهم أظرف وأفكه لأنه اجتث الشعور بالضعة من جذوره ، هذا هو سبب العداء دائماً بين الفضيلة والرذيلة أو بين الفاضل والرذل ، وهذا هو السبب في أن الرذل يكره الفاضل أكثر مما يكره الفاضل الرذل » .

ولا يقتصر الأمر على مجرد الاتهام وأذى اللسان بل السنان من خلال " العوام " والجهال ، بل إن أقرب المقربين إلى الدعاة قد يكونون من أشد الحاقدين والمتآمرين عليه ، والقرآن الكريم يوضح لنا أن زوجة لوط ونوح كانتا من أشد أعدائهما والساخرين من دعوتهما ، وأن والد إبراهيم آزر توعده

بالطرد والعذاب ، وأن عم الرسول محمد ﷺ أبا لهب كان من أشد أعدائه والناقمين عليه ، وأن أبا بكر الصديق وابنه ، وأبا عبيدة بن الجراح ووالده التقوا في ساحة القتال ؛ فريق مع أصحاب الجنة وفريق مع أصحاب السعير ، وتوضح لنا السيرة النبوية كيف أن والدة مصعب بن عمير سجنته ومنعت عنه الطعام ، وأن والدة سعد بن أبي وقاص وكان باراً بها جداً كانت في صفوف أعدائه ، روى الترمذي عند تفسير الآية : { **ووصينا الإنسان بوالديه حسناً وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون** } [العنكبوت:٨] ، قال : « إنها نزلت في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وأمه حمنة بنت أبي سفيان وكان باراً بأمه ، فقالت له : ما هذا الدين الذي أحدثت ، والله لا آكل ولا أشرب حتى ترجع إلى ما كنت عليه أو أموت ، فتتعير بذلك أبد الدهر ، يقال : يا قاتل أمه ! . ثم إنها مكثت يوماً وليلة لم تأكل ولم تشرب ، فجاء سعد إليها وقال : يا أماه ، لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني ، فكلي إن شئت ، وإن شئت فلا تأكلي ، فلما أيست منه أكلت وشربت ، فأنزل الله هذه الآية آمراً بالبر بالوالدين والإحسان إليهما وعدم طاعتهما بالشرك » .

والأشد من هذا أن الداعية قد يواجه فتنة الأهل والأحباب الذين يخشى عليهم أن يصيبهم الأذى بسببه وهو لا يملك لهم دفعاً ، وقد يهتفون به ليسالم أو يستسلم ، وينادونه باسم الأسرة والقرابة ، وباسم الأبوة والأمومة والأخوة ، واتقاء الله في الأرحام أن لا يعرضهم للأذى أو الهلاك... وليس الواقع المعاصر عنا ببعيد أو غريب ! وعندها يقف الداعية وحيداً غريباً ، يرى كل ما حوله وكل من حوله غارقاً في تيار الضلالة ، ممعناً في العماية ، وهو وحده موحش غريب طريد ، إنها والله فتنة ما أشدها من فتنة ، وابتلاء ما أصعبه من ابتلاء .

**للبحث صلة**